بادروا بالقضاء على ظاهرة
قراءة القرآن من المصحف في صلاة التراويح

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه والتـابعين لهم بإحسان وسلم تسليماً كثيراً وبعد :

فقد انتشرت ظاهرة خطيرة بين المسلمين في كل مكان من دول العالم وهي : ظـاهرة القراءة من المصحف في صلاة التراويح في شهر رمضان ؛ وهذا وإن كان جائزاً إلا أنه يمثل خطورة كبيرة في القضاء على حفظة القرآن الكريم ، وذلك لأن النفس تميـل إلى الراحة وتكره التعب ، والقراءة من الحفظ تحتاج إلى ضبط ومراجعة لذلك وقع كـثير من ضعاف الهمم استسهالاً للأمر وتركاً للتعب في هذه الظاهرة .

وقد صار حال كثير من الأئمة الاعتماد كلية على المصحف والحرص علـى تسـجيل التلاوة في الصلاة فإن هذا الأمر يقلل وقوعهم في أخطاء والتي تنتج من القراءة مـن الحفظ وهذا بالنسبة له أمر غير جيد لأنه يسجل التلاوة ! وكان حرياً بمن هذا صـفته أن يتقي الله تعالى ويخلص له في العبادة ولا يكون همه التسجيل ؛ بل ينبغي أن يكـون همه الخشوع والخضوع لله تبارك وتعالى ، وإذا كان قد خصص للصلاة بالناس سـواء من قبل الدولة أو من قبل أهل بلدة فينبغي عليه أن يجد ويجتهد في القراءة من الحفظ ، ولا شك أن القراءة من الحفظ وإن كانت قليلة فإنها أفضل من القراءة من المصـحف لأنها أخشع لله تعالى ولما فيها من الحفاظ على القرآن الكريم من جهة العناية به ، وليس هناك دليل على وجوب قراءة القرآن كاملاً في صلاة التراويح ، وإنما هذا من بـاب الندب حتى يمر الناس على جميع القرآن في شهر رمضان .

أما هذا الحال المؤلم الذي نراه ونشاهده فهو محزن جداً فقد استسهل الكثير من الناس هذا الأمر ، وتقدم للإمامة من لا يحسنها ولا يعرف أحكامها ولا يجيد قراءة كتاب الله جل وعلا على وفق أحكام التجويد المقررة عند أهل العلم ، بل بلغ الأمر إلى ما هـو

أبعد من ذلك وهو وقوع كثير من الأئمة في اللحن الجلي فيخطئون في حركات بعض الكلمات مما يغير المعنى والمقصود وهذا تحريف للكلم عن مواضعه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

فإن قال قائل : أليس الفقهاء قد جوزوا القراءة من المصحف في صلاة النافلة فلماذا هذا الإنكار ؟

والجواب : أقول : صحيح أن كثيراً من الفقهاء قد جوزوا قراءة القرآن من المصحف للإمام والمنفرد في صلاة النافلة بوجه عام أو عند الضرورة ، وذهب بعض الفقهاء إلى المنع وقالوا بعدم جواز قراءة القرآن من المصحف في الصلاة مطلقاً سواء كانت فريضة أو نافلة ، بل قد بالغ بعض الفقهاء فذهبوا إلى بطلان الصلاة .

والتفصيل في المسألة وتتبع كلام الفقهاء يطول شرحه وليس هذا موضعه ، فليراجع في ذلك كتب الفقه وشروح الحديث ، فإن هدفي من مقالي هذا هو حث المسلمين على العناية بالقرآن من جهة الحفظ وعدم تركه واستسهال القراءة من المصحف وليس تتبع مذاهب العلماء في ذلك فإن الذي يترجح لدي جواز ذلك في صلاة النافلة عند الضرورة ، لكن قد توسع الناس فيما يتعلق بالضرورة حتى تركوا الحفظ لذا وجب التنبيه على خطورة ذلك .

إن ما يحدث الآن من هذه الظاهرة يختلف تماماً عما كان يحدث في القرون الأولى ؛ فالذي ينظر إلى حال المسلمين قديماً يرى أنهم كانوا مشتغلين بحفظ القرآن الكريم والعمل به وقلَّ أن يحدث شيء من ذلك فيقع لبعض الأفراد القراءة من المصحف في صلاة النافلة ؛ فالغالب عليهم حينئذ القراءة من الحفظ ، بينما اليوم ترى العكس تماماً فإنك ترى أن أكثر الأئمة يقرأون من المصحف والقليل هو من يقرأ من حفظه لذا صار الأمر في خطر ؛ فهو وإن كان جائزاً إلا أن هذا الأمر يمثل ظاهرة خطيرة للقضاء على حفظ القرآن الكريم ؛ ومن ثم القضاء على حفظ السنة النبوية لأن المرء إذا لم ينشط لحفظ كتاب الله تعالى فإنه لا ينشط لحفظ سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – .

إنني يممت وجهي شرقاً وغرباً فوجدت أكثر الأئمة يقرأون من المصاحف لأنه لا يكلفهم جهداً وأخشى أن يؤول الحال فيترك المسلمون القرآن بالمرة وهذا ضلال مبين عياذاً بالله تعالى .

ومن خطورة هذه الظاهرة ومفاسدها أنها تضعف خلايا العقل بحيث لا ينشط المرء للحفظ ولا يستطيع أن يتذكر ما تم حفظه جيداً ، لذلك إذا أراد أن يصلي إماماً فلا يجرؤ أن يصلي بالناس من حفظه ، يدلك على هذا أن بعض الناس ممن يصلي ولا يطيل القراءة أصلاً يقرأ أيضاً من المصحف ، فانظر كيف آل الأمر أن مثل هؤلاء لا يستطيعون مراجعة صفحتين أو أربع ليقرأوا بها من حفظهم في الصلاة ؟! وقد كلمت بعضهم بنفسي فقلت له لماذا لا تجتهد وتراجع وتقرأ من حفظك ، فقال : لا أستطيع لقد اعتدت ذلك ؛ على الرغم من أنه لا يقرأ إلا بربعين فقط في الصلاة ؛ ومع ذلك لا يستطيع مراجعتهم ! لأن هذه الظاهرة قد أصابته بالخوف والجبن فيخشى من وقوع أخطاء كثيرة منه إذا صلى من حفظه ، وهروباً من هذا الشعور فإنه يقرأ في الصلاة من المصحف .

فحري بالمسلمين أن يكونوا على بصيرة بخطورة هذه الظاهرة التي هم عليها والعمل بالقضاء عليها في أسرع وقت ممكن فإن هذه الظاهرة لا تخرج حفظة للقرآن الكريم إطلاقاً ، وحري بالمسلمين أن يحرصوا على أن يقدموا في صلاتهم للإمامة من يحفظ كتاب الله تعالى ويكون عالماً بأحكام الشرع فإن هذا حقه التقديم ومن دونه ممن لم يحفظ حقه أن يؤخر .

وليجتهد المسلمون في حفظ القرآن والاعتناء بمراجعته فإنه متى تعاهد الرجل حفظه فإنه يثبت في ذاكرته ومتى لم يتعاهده فإنه يسرع النسيان إليه كما جاء في الحديث المتفق عليه أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال : « تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنَ الْإِبِلِ فِي عُقُلِهَا »[١] .

---

[1] - متفق عليه : البخاري (٥٠٣٣) ومسلم (٧٩١) .

ففي هذا الحديث حثَّ النبي – صلى الله عليه وسلم – على تعاهد القـــرآن وذلـــك بالعناية به من جهة الحفظ والمراجعة وأن عدم تعاهده سبب لتفلته من صاحبه وأن هذا أشد من تفلت الإبل في عقلها ؛ أي رباطها الموثوقة به ، ومتى حقق المسلمون العنايـــة بالقرآن استطاعوا حينئذ القضاء على ظاهرة قراءة القرآن من المصـــحف في الصـــلاة وخرجوا من الخلاف القائم بين أهل العلم في حكم ذلك .

هذا والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

وكتبه

أبو عبد الله

وائل بن على بن أحمد الأثري

الجمعة : غرة / رمضان / ١٤٣٣هـ